السنة الثانية عشرة من النبوة

وفيها كان المعراج

وقد اختلفت الروايات في أحاديث المعراج بما ورد في «المسند»[١] و«الصحيحين»[٢]، وغير ذلك.

وقد ذكر الثعلبي ذلك[٣] وأطال فيه، وذكر سِدْرَة المنتهى، وأنه غشيها نور من نور الله، وغشيتها ملائكة كأنهم جَراد من ذَهَب، فتحوَّلت حتى ما يستطيع أحد أن ينعتها، وأن جبريل انتهى به إلى حجاب من فراش الذهب، وأن ملكاً أخرج يده من الحجاب فاحتمله، وتخلَّف جبريل، فقال له: «إلى أَين»؟ فقال: هذا منتهى الخلائق، وإنما أُذِنَ لي في الدنو من الحجاب إجلالاً لك.

ثم دُلِّي له رَفْرَف أخضر يغلب ضَوْؤُه ضَوْءَ الشمس، وأنه وُضِعَ عليه، وحُمِلَ إلى العرش، قال رسول الله ﷺ: «لما رأيت العرش، اتضع عندي كل شيء، فقربني الله وأدناني إلى سند العرش، ووقعت على لساني قطرة من العرش فما ذاق الذائقون أحلى منها، فأنبأني الله نبأ الأولين والآخرين، وأطلق الله لساني بعد ما كَلَّ من هيبة الرحمن، فقلت: التحيات لله والصلوات الطيبات، فقال الله: سلام عليك أيها النبي ورحمة الله وبركاته فقلت: السلام علينا وعلى عباد الله الصالحين، فقال الله: يا محمد، هل تعلم فيم يختصم الملأ الأعلى؟ فقلت: أنت أعلم يارب بذلك، وبكل شيء، وأنت علام الغيوب، فقال: اختلفوا في الدرجات والحسنات، فالدرجات: إسباغ الوضوء في السَّبرات، والمشي على الأقدام إلى الجماعات، وانتظار الصلاة بعد الصلاة، وأما الحسنات: فإفشاء السلام، وإطعام الطعام، والتهجد بالليل والناس نيام.

---

(١) أخرجه أحمد في «المسند»(١٢٥٠٥) من حديث أنس بن مالك ﷺ، و(٧٨٣٥) من حديث مالك بن صعصعة.

(٢) أخرجه البخاري (٣٢٠٧)، ومسلم (١٦٤) من حديث مالك بن صعصعة ﷺ، و أخرجه مسلم (١٦٢) من حديث أنس ﷺ. وأخرجه البخاري (٣٤٩)، ومسلم (١٦٣) من حديث أبي ذرٍّ ﷺ.

(٣) في تفسير الآية الأولى من سورة الإسراء.

ثم ألهمني أن قلت: ﴿ءَامَنَ ٱلرَّسُولُ بِمَآ أُنزِلَ إِلَيْهِ مِن رَّبِّهِۦ﴾[البقرة: ٢٨٥] الآية، لا نفرق بين أحد من رسله كما فرقت اليهود والنصارى. قال: فماذا قالوا؟ قلت: قالوا: سمعنا وعصينا، والمؤمنون قالوا: سمعنا وأطعنا. قال: صدقت، فسل تعطه؟ فقلت: ﴿رَبَّنَا لَا تُؤَاخِذْنَآ إِن نَّسِينَآ أَوْ أَخْطَأْنَا﴾. قال: رفعت عنك وعن أمتك الخطأ والنسيان وما استكرهوا عليه. قلت: ﴿رَبَّنَا وَلَا تَحْمِلْ عَلَيْنَآ إِصْرًا كَمَا حَمَلْتَهُۥ عَلَى ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِنَا﴾ يعني اليهود. قال: لك ذلك ولأمتك. قلت: ﴿رَبَّنَا وَلَا تُحَمِّلْنَا مَا لَا طَاقَةَ لَنَا بِهِۦ﴾ قال: فعلت. ﴿وَٱعْفُ عَنَّا وَٱغْفِرْ لَنَا﴾ قال: قد فعلت.

ثم فرض علي خمسين صلاة كل يوم، فلما عهد إليَّ بعهده؛ تركني عنده ما شاء، ثم قال: ارجع إلى قومك، فبلغهم عني، فحملني على الرفرف الأخضر إلى أن انتهيت إلى سدرة المنتهى، وجبريل عليه السلام عندها، فقال لي: يامحمد، أنت خير خلق الله، حباك الله بما لم يَحْبُ به أحداً من خلقه، وبَلَغْتَ مكاناً ما وصل إليه سواك من أهل السَّماوات وأهل الأرض.

وفيه: أنه انطلق به إلى الجنة، فأراه إياها، ووصف من قصورها وحورها وولدانها وما فيها، وأراه شجرة طوبى ووصفها، ثم أراه السلاسل والنار وما فيها، ثم إنه مر على موسى عليه السلام، ورده في الصلوات، وأنه عاد إلى الله تعالى، وسأله حتى أبقى خمساً. وذكر أنه عاد إلى مكة[1].

وقال ابن عباس: وفقَدَت قريش رسول الله ﷺ في تلك الليلة، وتفرق بنو عبد مناف في طلبه، وخرج العباس رضي الله عنه حتى بلغ ذا طُوى، وجعل يصرخ: يا محمد، يا محمد. فأجابه رسول الله ﷺ: «لبيك لبيك». فقال: يا ابن أخي، عَنَّيْتَ قومك منذ الليلة، فأين كنت؟ قال: «كنت بالبيت المقدس». قال: من ليلتك هذه؟ قال: «نعم». قال: فما أصابك إلّا خَيْرٌ؟ قال: «نعم».

وقال ابن عباس رضي الله عنهما: قال رسول الله ﷺ: لما كانت ليلة أسري بي وأصبحت بمكة، عَرَفْتُ أن الناس لا يصدقوني، فضقت بأمري ذرعاً، وقعدت معتزلاً حزيناً

(١) انظر «الطبقات الكبرى» ١/ ١٨٢-١٨٣ .

مهموماً، فمرّ بي أبو جهل فجلس إليّ كالمستهزىء بي، فقال: هل كان شيء؟ قلت: نعم، أسري بي إلى بيت المقدس. قال: ثم أصبحت بين أظهرنا؟ قلت: نعم، قال ابن عباس: فلم ير أبو جهل أن يكذبه مخافة أن يجحده الحديث، قال: أرأيت لو دعوت قومك أتحدثهم بما حدثتني به، قال: نعم، فصاح أبو جهل: يا معشر قريش هلموا، فانفضت إليه المجالس، فجاؤوا فجلسوا إليهما، فقال له: حدِّث قومك بما حدثتني به، فقال: «نعم، أسري بي الليلة من ها هنا إلى البيت المقدس» قالوا: وأصبحت بين أظهرنا، قال: «نعم» قال: فَهُمْ بين مصفق، وواضع يده على رأسه متعجباً، ثم قالوا: هل تستطيع أن تنعت لنا المسجد الأقصى؟ قال: نعم، فجيء بالمسجد فوضع دون دار عقيل، فنعتُّه لهم، وفيهم من قد سافَر إليه، فقالوا: أما النعت فقد أصاب والله في وصفه[١].

قالوا: فأخبرنا عن عِيرنا، هل لقيت منها شيء؟ قال: نعم، مررت على عير بني فلان بالرَّوْحاءِ، وقد أضلوا بعيراً لهم، وهم في طلبه، وفي رحالهم قدح وفيه ماء فعطشت، فشربت منه، فسلوهم هل وجدوا الماء في القدح حين رجعوا؟ وذكر لهم أشياء تحقَّقَ عندهم صدقُه فيها. فقالوا: هذا سحر مبين[٢].

وقالت عائشة رضي الله عنها: لما أصبح الناس يتحدثون بحديث الإسراء إلى بيت المقدس، سعى رجال من الكفار إلى أبي بكر رضي الله عنه فقالوا: هل لك في صاحبك يزعم أنه قد أسري به الليلة إلى بيت المقدس؟ قال: أوقد قال ذلك؟ قالوا: نعم. قال: صدق. قالوا: أَتُصدِّقُه أنه مضى إلى الشام في ليلة ثم عاد قبل أن نصبح؟ قال: نعم، إني لأصدقه بما هو أبعد من ذلك، أصدقه بخبر السماء غدوه ورواحه. قالت: فلذلك سمي الصديق[٣].

---

(١) إلى هنا الخبر عند أحمد في «مسنده» (٢٨١٩)، والبيهقي في «الدلائل» ٢/ ٣٦٣ من حديث ابن عباس.

(٢) أخرجه أبو يعلى في «معجمه» (١٠)، والمقدسي في «فضائل بيت المقدس» (٥٢) من حديث أم هانئ، مطولاً بالقصتين معاً، وكأن المصنف رحمه الله جمع بين الخبرين.

(٣) أخرجه الحاكم ٣/ ٦٢ ، والبيهقي في «الدلائل» ٢/ ٣٦١ ، وقال الحاكم: هذا حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه؛ ووافقه الذهبي.

وحكى هشام بن محمد، عن أبيه قال: لما رجع رسول الله ﷺ ليلة أُسري به، فلما كان بذي طُوى، قال: ياجبريل، إن قومي لا يصدقوني. قال: يصدقك أبو بكر، وهو الصديق رضي الله عنه[١].

فصول تتعلق بالمعراج

منها: أن مذهب عامة الصحابة، والتابعين، والخلفاء الراشدين، والأئمة المهتدين: أن الله عزوجل عرج بنبيه ﷺ جَسدِه وروحِه.وحكي عن معاوية بن أبي سفيان: أنه إنما عرج بروحِه دون جسده[٢]. وقال الواقدي: كان الإسراء بجسده إلى بيت المقدس، وإلى السماء بروحه.

وذكر السهيلي[٣] في «شرح السيرة»: واحتج ابن إسحاق لمعاوية بقوله تعالى: ﴿وَمَا جَعَلْنَا ٱلرُّءْيَا ٱلَّتِىٓ أَرَيْنَٰكَ إِلَّا فِتْنَةً لِّلنَّاسِ﴾[الإسراء: ٦٠]، وفي حديث أنس[٤] وأم هانئ: «فاستيقظتُ وأنا في المسجد الحرام»[٥].

وقالت عائشة رضي الله عنها: أسري بروح رسول الله ﷺ وهو نائم على فراشه، وما فقدت جسد رسول الله ﷺ[٦].

وجه ما روي أنه عرج بروحه إلى البيت المقدس، وروحه إلى السماء قوله تعالى: ﴿سُبْحَٰنَ ٱلَّذِىٓ أَسْرَىٰ بِعَبْدِهِۦ لَيْلًا مِّنَ ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ إِلَى ٱلْمَسْجِدِ ٱلْأَقْصَا﴾[الإسراء: ١] جعلَ الإسراء إلى القدسِ غايةً لمعراجه ومن هناك عرج بروحه.

ووجه قول الأولين قولُه تعالى: ﴿سُبْحَٰنَ ٱلَّذِىٓ أَسْرَىٰ بِعَبْدِهِۦ لَيْلًا﴾ الآية، ذكر الجُملةَ، ولو كان مناماً لقال بروحه، لأنه لو كان مناماً لم تكن معجزة، ولا أنكرته

---

(١) أخرجه ابن سعد في «الطبقات» ١/ ١٨٣من حديث أم هانئ، وأخرجه الطبراني في «الأوسط» (٧١٧٣) من حديث أبي هريرة.

(٢) انظر «السيرة» لابن هشام ٢/ ٣٤ .

(٣) في (خ): «الثعلبي».

(٤) أخرجه البخاري (٧٥١٧) من حديث أنس ، ولم نقف عليه من حديث أم هانئ.

(٥) «الروض الأنف» ٢/ ١٩١ .

(٦) أخرجه الطبري في «تهذيب الآثار» (مسند علي) ص٤٤٧ ، وانظر «السيرة» لابن هشام ٢/ ٣٤ .

قريش. وقد دلت عليه الأحاديث الصحاح، وإجماع العلماء مثل: الخلفاء الأربعة، وابن عباس، وجابر، وأنس، وأبي هريرة، وحذيفة، وابن مسعود، ومالك بن صعصعة، وأبي بن كعب، وزيد بن ثابت، وابن عمر، وعبدالله بن عمرو، وسلمان الفارسي، وعمار بن ياسر، وعائشة، وأم هانئ، في آخرين. ومن التابعين خلق يطول ذكرهم لم يُذكر مخالف إلا ما روي عن معاوية.

وأما قوله تعالى: ﴿وَمَا جَعَلْنَا ٱلرُّءْيَا ٱلَّتِيٓ أَرَيْنَٰكَ إِلَّا فِتْنَةً لِّلنَّاسِ﴾ [الإسراء: ٦٠]، فقد روى عكرمة، وأبو صالح، والوالِبي، عن ابن عباس: أن النبي ﷺ رأى في منامه بني أمية ينزون على منبره نَزْوَ القِرَدة، فساءه ذلك، فأنزل الله هذه الآية. فلا تعلق لها بالمعراج[1].

وأما قول عائشة رضي الله عنها: ما فقدت جَسَدَ رسول الله ﷺ. فأين كانت عائشة في زمن المعراج، فإنها كانت بنت ست سنين بإجماع العلماء، وأن رسول الله ﷺ لم يدخل بها إلا في المدينة بعد ثلاث سنين من المعراج، فلا تثبت الرواية.

وقوله: جعل الإسراء إلى بيت المقدس غاية، فلا ينبغي أن يكون إلى غيره، وقد ثبت بالنصوص الصحاح: أن ذلك كان يقظة لا مناماً.

وذكر القاضي عياض في كتاب «الشفا»[2]: أن مذاهب المسلمين والمذهب الحق: أن الله عرج بنبينا بجسده ﷺ وبروحه جملة.

فإن قيل: فلِمَ قال: ﴿أَسْرَىٰ بِعَبْدِهِۦ لَيْلًا﴾ ولم يقل: نهاراً.

فالجواب من وجهين:

أحدهما: أن الليل أستر للأحوال لئلا يصير فتنة كما صار عيسى عليه السلام.

---

(١) أخرجه أبو يعلى في «مسنده» (٦٤٦١) والحاكم ٤/ ٤٨٠، وابن الجوزي في «العلل المتناهية» (١١٦٨) و (١١٦٩) من حديث أبي هريرة، وقال الحاكم: هذا حديث صحيح على شرط الشيخين ولم يخرجاه، وقال ابن الجوزي: حديث لا أصل له.

وأورده الهيثمي في «مجمع الزوائد» ٥/ ٢٤٤ وقال: رواه أبو يعلى ورجاله رجال الصحيح، غير مصعب بن عبدالله بن الزبير، وهو ثقة.

(٢) «الشفا» ١/ ٢٤٨.

وقال أبو يزيد البسطامي: الليل ميدان المحبين، يجري فيه من الانبساط ما لا يجري بالنهار.

وقال بعض أهل المعاني: لما كان الذهاب من مكة إلى البيت المقدس في ليلة والرجوع منه إلى مكة، مما تأباه عقول قوم سبح الله نفسه عند ذلك، فقال: ﴿سُبْحَانَ ٱلَّذِىٓ أَسْرَىٰ بِعَبْدِهِۦ لَيْلًا﴾، وكذا لما كان مجيء الليل وإقبال النهار خرقاً للعادة، سبح الحق نفسه، فقال: ﴿فَسُبْحَانَ ٱللَّهِ حِينَ تُمْسُونَ وَحِينَ تُصْبِحُونَ ﴿١٧﴾﴾[الروم: ١٧] في نظائر كثيرة، فالحق سبحانه ما سبح نفسه إلا عند كل عظيم.

فإن قيل: فما الحكمة في إسرائه من مكة إلى القدس ولم يسر به من مكة إلى السماء؟

فالجواب من وجوه:

أحدها: إنما أسري به إلى القدس ليستأنس، فيتدرج به إلى صعود السماء.

والثاني: لأن الأنبياء عليهم السلام جُمِعوا له هناك، فصلى بهم، وفي ضمن ذلك نسخ شرعهم بشرعه.

والثالث: لأنه مر على الأماكن التي كلم الله عليها موسى وشاهدها، ثم عرج به إلى السَّماوات، وزيد على ذلك النظر ليظهر له التفاوت[١].

ومنها[٢]: أن محمداً ﷺ رأى ربه بعيني رأسه، وهو قول من سمَّيْنا من العلماء في الليلة الماضية. وروي عن عائشة رضي الله عنها، أنها أنكرت ذلك، وقالت: إنما رآه بعيني قلبه.

قال مسروق: سألتُ عائشة: هل رأى محمدٌ ﷺ ربه بعيني رأسه؟ فقالت: لقد قفَّ شعري مما قلت، من حدَّثك بهذا فقد كذب، ثم قرأت: ﴿لَّا تُدْرِكُهُ ٱلْأَبْصَٰرُ﴾ [الأنعام: ١٠٣] الآية.

ولما قال مسروق لعائشة رضي الله عنها: هل رأى ربه رسول الله ﷺ قط، وقرأ: ﴿وَٱلنَّجْمِ إِذَا هَوَىٰ ﴿١﴾﴾[النجم: ١]؟ قالت عائشة رضي الله عنها: إلى أين تَذْهب؟ بل إنما رأى جبريل في صورته[٣].

---

(١) لم يذكر المصنف الوجه الثاني لحكمه الإسراء به ليلاً.

(٢) أي من الفصول المتعلقة بالمعراج.

(٣) أخرجه البخاري (٤٨٥٥)، ومسلم (١٧٧)، والترمذي (٣٢٧٨).

والصحيح: قول عامة الصحابة.

قال الإمام أحمد بن حنبل ﷺ: حدثنا أسود بن عامر، حدثنا حمَّاد بن سَلَمة، عن قتادة، عن عكرمة، عن ابن عباس قال: قال رسول الله ﷺ: «رأَيتُ ربِّي تَبَارك وتَعالى»[١]. ولو رآه بعيني قلبه، لم يكن له مزية على آحاد أمته، فإن عامة المؤمنين يرون الله تعالى بقلوبهم دائماً.

وحكى النَّقَّاش، عن الإمام أحمد بن حنبل ﷺ أنه قال: أنا أقول: رأى ربه بعيني رأسه، رآه، رآه، رآه، ... حتى انقطع نفس الإمام أحمد بن حنبل ﷺ[٢].

وحكى القاضي عياض، عن أبي الحسن الأشعري أنه قال: رآه ببصره وعيني رأسه، قال: وكل آية أوتيها نبي من الأنبياء فقد أوتيها نبينا ﷺ، وخُصَّ نبينا ﷺ من بينهم بتفضيل الرؤية[٣].

وما روي عن عائشة ﷺ، فالجواب عنه من وجوه:

أحدها: أنه رأي منها، لا رواية عن رسول الله ﷺ، ولمَّا قيل للإمام أحمد بن حنبل ﷺ: بماذا ترد قول عائشة؟ فقال: بقول النبي ﷺ: «رأَيتُ رَبِّي».

والثاني: أنها لم تكن عند رسول الله ﷺ في زمن المعراج.

والثالث: أنها نفت، والعمل على الإثبات، وقد أثبتَ الروايةَ أعيانُ الصحابة، وقولهم مقدَّمٌ على رأيها، خصوصاً وقد رفعوه إلى النبي ﷺ.

وقد قال القاضي عياض: رؤية الله في الدنيا جائزة عقلاً، وليس في العقل ما يحيلُها، ولهذا سألها موسى عليه السلام، ومحال أن يجهل نبي ما يجوز على الله تعالى[٤].

قال المصنف ـ رحمه الله ـ: فالنبي ﷺ ما رأى ربه في دار الدنيا، وإنما رآه في الدار الآخرة، لأن ﴿فَكَانَ قَابَ قَوْسَيْنِ﴾[النجم: ٩] ليس من حساب الدنيا، وخصوصاً وقد خرق

(١) أخرجه أحمد في «مسنده» (٢٥٨٠).

(٢) في (خ) تكرر الحديث السابق بسنده فلعله سبق قلم من الناسخ. وانظر الخبر في «الشفا» ١/ ٢٦٠ ،

(٣) «الشفا» ١/ ٢٦١ .

(٤) «الشفا» ١/ ٢٦١ .

سبعين حجاباً من النور بعد أن جاوز سدرة المنتهى، فثبتت الرؤية.

وسئل أبو العباس بن عطاء، قال: كيف أصف لكم مقاماً انقطع عنه جبريل، والملائكة المقربون، ولم يبق إلا محمد وربه تعالى؟ وفي تلك الليلة ارتفعت الوسائط، ألا ترى إلى قوله لجبريل عليه السلام، لمّا زجَّه في النور: يا جبريل، ها هنا يفارق الخليل خليله؟ فقال: لو دنوت أنملة لاحترقت.

* * *

واختلفوا في قوله تعالى: ﴿لَقَدْ رَأَىٰ مِنْ ءَايَٰتِ رَبِّهِ ٱلْكُبْرَىٰ ﴿١٨﴾﴾[النجم: ١٨] على أقوال:

أحدها: ما شاهد عند قاب قوسين.

والثاني: الرفرف الأخضر الذي سد الأفق.

والثالث: جبريل عليه السلام في صورته التي خلقه الله عليها[1].

والرابع: الجنة والنار، وما رأى من الملائكة عليهم السلام.

قال ابن عباس رضي الله عنهما: لما نزل قوله تعالى: ﴿وَٱلنَّجْمِ إِذَا هَوَىٰ ﴿١﴾﴾، جاء عتيبة بن أبي لهب، فوقف على النبي ﷺ وقال: يا محمد، هو كافر بالنجم إذا هوى، وبالذي دنا فتدلى، ثم تَفَل عليه وسبَّه. وكان النبي ﷺ قد زوجه إحدى بناته، فطلَّقها عتيبة في ذلك اليوم، ولم يكن دخل بها. فدعا عليه النبي ﷺ وقال: «اللَّهمَّ سَلِّط عليه كلباً من كِلابِكَ». وبلغ أبا لهب، فقال: ما كان أغنى عتيبة عن دعوة محمد ﷺ.

ثم إن أبا لهب خرج إلى الشام في تجارة ومعه عتيبة، فنزل الزرقاء، فاطلَعَ راهب من صومعته وقال: يا قوم، احفظوا رحالكم، فهذه أرض مَسْبَعَةٌ، فقال أبو لهب لأصحابه: أعينونا الليلة، فإني أخاف على ابني دعوة محمد، فجمعوا حمالهم، وفرشوا لعتيبة في أعلاها، ونام القوم حوله، وجاء الأسد فجعل يتشمم القوم حتى وصل إلى عتيبة وشمه، ثم ضرب بيده، فأخذ يَافوخه، وانتبه القوم وقد أكله، فعاد أبو

(١) انظر تفسير الثعلبي ٦/ ١٥ .

لهب إلى مكة حزيناً، وهو يقول: استجيب لمحمد في ابني. وكان كُنيةُ عُتيبةَ: أبا واسع، وفي ذلك يقول حسان بن ثابت[١]: [من السريع]

سائل بني الأشعرِ إن جئتَهم ... ما كان أنباءُ أبي واسعِ
لا وسَّع الله له قبره ... وضيَّق الله على القاطعِ
رمى رسولَ الله من بينهم ... دون قريش رميةَ القاذع
فاستوجب الدعوة منه بما ... بَيَّن للناظر والسامع
أن قيَّض الله له كلبه ... يمشي الهوينا مشية الخادع
حتى أتاه وسْط أصحابه ... وقد عَلَتْهم سِنَةُ الهاجِعِ
فالتقم الرأسَ بيافوخه ... يفعل فِعلَ القَرِمِ الجائعِ
ثم علا بَعْدُ بأنيابه ... معفَّراً وسْط دمٍ ناقعِ
قد كان هذا لكم عبرةً ... للسيّد المتبوع والتابع
من يرجع الآن إلى أهله ... فلستَ يا عتبةُ بالراجعِ

قال البلاذُري: وجعل عتيبة يقول وهو بآخر رمق: ألم أقل لكم إن محمداً أصدق الناس، ومات[٢].

واختلف الناس في المدة التي كانت بين المعراج والهجرة على أقوال:

أحدها: سنة. والثاني: ستة أشهر. والثالث: ثمانية أشهر. والرابع: سنة ونصف. وعلى ذلك يُبنى خلافهم في أي شهر كان، والله أعلم.

* * *

(١) أخرجه الحاكم ٢/ ٥٣٩ والبيهقي في «الدلائل» ٢/ ٣٣٨ من حديث أبي نوفل بن أبي عقرب عن أبيه، وقال: صحيح الإسناد ولم يخرجاه. وقال الحافظ في «الفتح» ٤/ ٣٩ : حديث حسن.
وأخرجه ابن عساكر في «تاريخه» ٣٨/ ٣٠٢ من حديث هبار بن الأسود.
وأخرجه الدولابي في «الذرية الطاهرة» ص٥٨ ، وأبو نعيم في «الدلائل» ١/ ٢٢٠ من حديث محمد بن كعب القرظي وعثمان بن عروة بن الزبير. والأبيات في ديوانه ص١٥٣.
(٢) «أنساب الأشراف» ١/ ١٤٩ .

وفي هذه السنة لقي رسول الله ﷺ جماعةً من الأوس والخزرج، فآمنوا به.

قال الواقدي: قدم جماعة منهم إلى الحج، فانتهى رسول الله ﷺ إلى فريق منهم، فقرأ عليهم القرآن، فدعاهم إلى الله، فآمنوا.

قال ابن إسحاق: قدم أبو الحَيْسر بن رافع مكة ومعه فتية من بني عبد الأشهل فيهم إياس بن معاذ يلتمسون الحِلف من قريش على قومهم من الخزرج، لِما كان بينهم من الحرب، فسمع بهم رسول الله ﷺ فأتاهم، وقال لهم: «هَل لَكُم إلى خَيرٍ مما جِئتُم له»؟ قالوا: وما ذاك؟ قال: «تَعبدونَ اللهَ وتُوحِّدونَه» وقرأ عليهم القرآن، فقال إياس بن معاذ وكان حدثاً عاقلاً: أي قوم، والله إن هذا لخير مما جئتم له. فأخذ أبو الحَيْسَر حفنة من البطحاء، فضرب بها وجه إياس وقال: دعنا من هذا، فلعمري لقد جئنا إلى غيره. فصمت إياس، فقال أبو الحيسر: جئنا نطلب حلف قريش على أعدائنا، فنرجعُ وقريشٌ أعداؤنا، وقام عنهم رسول الله ﷺ، ورجعوا إلى المدينة. وكانت وقعة بُعاث بين الأوس والخزرج.

كذا وقعت هذه الرواية: أن وقعة بُعاث كانت في هذه السنة، وقد تقدم أنها كانت قبلها، والله أعلم.

فيقال: إن إياس بن معاذ أول من أسلم، ومات يوم بعاث مسلماً لما سمع رسول الله ﷺ، فكان عند موته يكبِّر ويهلِّل[1].

واختلفوا في أول الأنصار إسلاماً، على أقوال:

أحدها: إياس بن معاذ، قاله ابن إسحاق.

والثاني: أسعد بن زُرارة، وذَكْوان بن عبد قيس، قدما مكة يتنافران إلى عتبة بن ربيعة، فلما اجتمعا به ـ وكان رسول الله ﷺ قائماً يصلي في المسجد ـ، فأشار إليه عتبة، وقال: لقد شغلنا هذا المصلي عن كل شيء، يزعم أنه رسول الله، وكان أسعد ابن زرارة وأبو الهيثم بن التَّيِّهان يتكلمان في التوحيد بيثرب، ويسمعان من أحبار اليهود

(١) انظر «السيرة» لابن هشام ٢/ ٥٣-٥٤ ، و«الطبقات الكبرى» ٣/ ٤٠٤ ، والطبراني في «الكبير» (٨٠٥) والحاكم ٣/ ١٨٠ ، والبيهقي في «الدلائل» ٢/ ٤٢٠-٤٢١ . وقال الحافظ في «الإصابة» ١/ ٩١ : رواه جماعة عن ابن إسحاق هكذا، وهو من صحيح حديثه. وبعاث يقال بالعين وبالغين.

أنه قد بعث نبي يدعو إلى الله تعالى، فقال ذكوان لأسعد لما سمع قول عتبة: دونك، هذا دينُك، فقاما إلى النبي ﷺ فقرأ عليهما القرآن، فأسلما وعادا إلى المدينة، فلقي أسعدُ أبا الهيثم بن التيهان فأخبره بإسلامه، فقال: وأنا أشهد أنه رسول الله، وأسلم. قاله الواقدي[١].

والثالث: رافع بن مالك الزُّرَقي، ومعاذ بن عفراء، خرجا إلى مكة مُعْتَمِرَيْنِ، فَذُكِرَ لهما رسول الله ﷺ فأتياه، فقرأ عليهما القرآن فأسلما، ثم عادا إلى المدينة. فأول مسجد قرئ فيه القرآن بالمدينة مسجد بني زُرَيق. قاله ابن الكلبي[٢].

ذكر نسب الأنصار:

قال الزبير بن بكار: الأنصار من اليمن وهم الأوس والخزرج ابنا حارثة بن ثعلبة ابن عمرو بن عامر بن حارثة بن ثعلبة بن امرئ القيس بن ثعلبة بن مازن بن عبيد الله بن الأَسْد[٣] بن الغوث بن نبت بن مالك بن زيد بن كهلان بن سبأ بن يعرب بن قحطان[٤].

والأوس والخزرج ابنا قَيْلة، وهي أمهما نسبا إليها، وهما ابنا حارثة ـ وهو العنقاء ـ ابن عمرو ـ وهو مُزَيْقياء ـ ابن عامر ـ وهو ماء السماء ـ ابن حارثة ـ وهو الغِطْريف ـ ابن امرئ القيس بن ثعلبة بن مازن بن الأَزْد ـ واسمه: دَرّا [٥] ـ ابن الغوث بن نبت بن مالك بن زيد بن كَهْلان [بن سبأ][٦] ـ واسمه: عامر وسمي: سبأ، لأنه أول من سَبى السبيَ، وكان يدعى عبدشمس من حسنه ـ ابن [٧] يَشْجُب بن يَعْرُب ـ وهو المُرْعَف[٨] ـ ابن يَقْطُن، وهو قَحْطان وإلى قَحْطان جماع اليمن، فمن نسبه إلى إسماعيل بن إبراهيم عليهما السلام قال: قحطان بن الهَمَيْسَع بن تيمن بن نَبْت بن إسماعيل عليه السلام. قال ابن سعد:

---

(١) انظر «الطبقات الكبرى» ١/ ١٨٥-١٨٦ .

(٢) انظر «الطبقات الكبرى» ١/ ١٨٦ .

(٣) الأَزد ويقال: الأسد بوزن العقل، وهو الأفصح، إلا أن الأول أكثر: «الإيناس بعلم الأنساب» ص٥٧ .

(٤) انظر «سيرة» ابن هشام ١/ ١٠ .

(٥) في «النسخ»: «ذر»، والتصويب من «الطبقات» ٣/ ٣٨٨، و«سبل الهدى والرشاد» ٣/ ٢٥١.

(٦) مابين حاصرتين زيادة من «الطبقات».

(٧) في «النسخ»: «واسمه يشجب» والمثبت من الطبقات.

(٨) في «النسخ»: «بن المرعف» والتصويب من «الطبقات» و«الإكمال» ٧/ ٢٣٨ .

هكذا كان ينسبه هشام بن محمد الكلبي، عن أبيه. قال: وعليه عامة الأنساب أنَّ قَحْطان من ولد إسماعيل عليه السلام، ومن نسبه إلى غيره يقول: قحطان بن فَالَغ بن عابِر بن [شالخَ بن][1] أَرْفَخْشَذ بن سام بن نوح عليه السلام.

قال ابن سعد: وأم الأوس والخزرج قَيْلَة بنت كاهل بن عُذْرة بن سعد بن زيد بن سُود بن أسلم بن الحاف بن قضاعة. وكان حَضَن سعداً عبدٌ حبشي، يسمى: هُذيماً فغلب عليه، فيقال: سعد بن هُذيم.

ذكر أولاد الأوس بن حارثة:

مالك بن أوس، ومنه تفرقت القبائلُ كلُّها وبطونها، فولد مالك: عَمْراً وهو النَّبِيْت، ومنه بنو عبد الأشهل، وبنو ظَفَر ـ واسم ظَفَر: كعب ـ وبنو حارثة بن الحارث. فهذه النَّبيت من الأوس[2].

وقال الجوهري: والنبيت حي من اليمن[3]، ومنهم عمرو بن عوف، وجَحْجَبى وقبائل شتى[4].

ذكر أولاد الخزرج بن حارثة:

وهم خمسة نفر: جُشَم وعوف وهما الخرطومان، والحارث وعمرو، وكعب، بنو الخزرج.

فأما جُشَم، فكان منيعاً وبه يضرب المثل:

إن سَرك العِزُّ فجخجخ بجُشم[5]

أي: لُذ به.

ومن جشم: بنو تَزيد منهم سَلِمَةُ وبطونُها.

---

(١) مابين معكوفتين زيادة من «الطبقات».

(٢) انظر «المعارف» ص١١٠ .

(٣) «الصحاح» (نبت).

(٤) كذا ، وفي المعارف ١١٠: وعوف بن مالك ، ومنهم بنو عمرو بن عوف أهل قباء ومنهم جَحْجَبى .

(٥) هو رجز للأغلب العجلي، وهو في المعارف ١٠٩ وسلف في القبائل والعمائر من الجزء الثاني.

ومن جُشم أيضاً: بنو بَياضة.

وأما عوف بن الخزرج، فمنهم: بنو الحُبلى. رهط عبد الله بن أُبَيٍّ بن سَلول.

ومنهم القَواقل، وكان يقال للرجل إذا استجار بيثرب: قَوْقِلِ وقد أَمِنْتَ[١]، واسم القَوقل: غَنْم بن عوف بن عمرو بن الخزرج، وقيل: عمرو بن عوف، ومنهم: بنو سالم.

وأما عمرو بن الخزرج، فمنهم: بنو النجار، واسم النجار: تيم اللَّات بن ثعلبة، وإنما سمي النجار، لأنه نجر رجلاً بقَدُوم فقتله.

وأما كعب بن الخزرج، فهم بطون بني ساعدة رهط سعد بن عبادة. فهذا أصل نسب الأوس والخزرج[٢].

ذكر العقبة الأولى:

لما أراد الله إظهارَ دينه وإعزازَ نبيِّه وإنجازَ موعده، لقي رسولَ الله ﷺ بالموسم جماعةٌ من الأنصار.

واختلفوا فيهم على قولين:

أحدهما: أنهم كانوا اثني عشر رجلاً، عشرة من الخزرج، واثنان من الأوس.

فمن الخزرج: أسعد بن زرارة، ورافع بن مالك، وذكوان بن عبد قيس، وعُبادة بن الصامت، وعَبّاس بن عُبادة، وعقبة بن عامر، وقُطبَةُ بن عامر، وعوف ومعاذ[٣] ابنا عَفْراء وهي أمهما، ـ وأبوهما: مالك بن رفاعة، وقيل: الحارث بن رفاعة ـ ويزيد بن ثعلبة. فهؤلاء العشرة من الخزرج.

---

(١) قال ابن دريد في «الاشتقاق» ص٤٥٦: القَوْقَلَة: التغلغل في الشيء، والدخول فيه. وقال ابن هشام في «السيرة» ٢/ ٥٧: وإنما قيل لهم: القواقل، لأنهم كانوا إذا استجار بهم الرجل دفعوا له سهماً وقالوا له: قوقل به بيثرب حيث شئت. وقال: القوقلة: ضرب من المشي.

(٢) انظر «المعارف» ص١٠٩.

(٣) في «النسخ»: «معوذ» والصواب: معاذ كما في «السيرة» لابن هشام، و«الطبقات الكبرى» وانظر «الإصابة» ٣/ ٤٢٨.

وأما من الأوس: فعُويم بن ساعدة، وأبو الهيثم بن التيهان[١]، قاله الواقدي.

والثاني: أنهم كانوا ستة، ذكره ابن إسحاق، وقال: لما أراد الله إظهار الإسلام، خرج رسول الله ﷺ إلى الموسم، فصادف جماعة من الأنصار، فقرأ عليهم القرآن، ودعاهم إلى الإسلام، فقال بعضهم لبعض: ويحكم، هذا والله النبي المبعوث الذي وعدكم به اليهود، فلا يسبقْكم إليه أحد، فأجابوه. وكانوا ستة: أسعد بن زُرارة، وعوف بن مالك، وهو ابن عفراء، ورافع بن مالك بن العجلان، وقُطبة بن عامر بن حَديدة، وعقبة بن عامر بن نابي، وجابر بن عبدالله بن رِئاب[٢].

وقال الواقدي: الثابت عندنا، أنه لم يسلم أحد قبل هؤلاء، وواعدوه على أن يأتوا العام القابل، وبايعوه على الإيمان بالله ولوازِمه، ولم يبايعوه على الحرب لأعدائه.

وقال عبادة بن الصامت: بايعناه عند العقبة، بيعة النساء[٣]. يعني من غير ذكر الحرب والنَّصْر.

وحكى الواقدي: أن النبي ﷺ قال: «أبايعكم على أن تمنعوا ظهري حتى أُبَلِّغَ رسالاتِ ربي». قالوا: يارسول الله، نحن أعداءٌ مُتباغِضون، وإنما كانت وقعة بعاث عام أول، فإن تَقْدُمْ علينا ونحن على ذلك، لا يكون لنا عليك اجتماع، فدَعْنا نرجع إلى أهالينا وعشائرنا لعل الله أن يصلح ذاتَ بَيْنِنا، وموعدك العام القابل، فبايعوه على أن لا يشركوا بالله شيئاً.

قال عبادة: ولا نسرق ولا نزني، ولا نقتل أولادنا، فإن وفوا بذلك فلهم الجنة، وإن غَشَوْا شيئاً فأمرهم إلى الله، إن شاء غفر لهم، وإن شاء عذَّبَهُم، ثم انصرفوا إلى المدينة، وبعث معهم مصعب بن عمير يُقرئهم القُرآن ويُفقِّهُهُم في الدين، وفشا الإسلام في المدينة، فلم يبق فيها دار إلا وفيها ذكر لرسول ﷺ، وكان مصعب قد نزل على أسعد بن زرارة، وكان يسمى المُقْرئ، فقال سعد بن معاذ لأُسَيد بن حُضَيْر: ائت أسعد بن زرارة فأخِّره عنا، فقد بلغني أنه جاء بهذا الرجل الغريب معه يُسَفِّه سفهاءنا،

(١) انظر «السيرة» ٢/ ٥٦-٥٧، و«الطبقات الكبرى» ١/ ١٨٧، و«المنتظم» ٣/ ٣٢-٣٣.

(٢) انظر «السيرة» لابن هشام ٢/ ٥٤-٥٥.

(٣) انظر «السيرة» لابن هشام ٢/ ٥٧، و«الطبقات الكبرى» ١/ ١٨٧، و«دلائل النبوة» للبيهقي ٢/ ٤٣٦.

فذهب أسيد بن حُضَير إلى أسعد، فقال له: مالنا ومالك قد أتيتنا بهذا الرجل الغريب يُسَفِّه ضعفاءَنا. فقال: أَوَتجلس فتسمع، فإن رضيت أمراً قبلته، وإن كرهته تركته. فقال: أنصفت.

فجلس فقرأ عليه مصعب القرآن، وعرض عليه الإسلام، فقال أسيد: ما أحسن هذا وأجمله! كيف تصنعون إذا دخلتم في هذا الدين؟ قال: نتطهرُ، ونُطَهِّرُ ثيابنا، ونشهد شهادة الحق، ففعل ذلك. وخرج فأخبر سعد بن معاذ فجاء إليهم، فدعاه مصعب إلى الإسلام فأسلم، وجاء حتى وقف على بني عبد الأشهل فقال: أَيُّ رجل تعلمون أنا؟ قالوا: خيرنا وأفضلنا. فقال: إن كلامَ رجالكم ونسائكم عليَّ حرامٌ حتى تسلموا، وتؤمنوا بالله، وتصدقوا محمداً ﷺ، قالوا: فوالله ما أمسى في ذلك اليوم رجل وامرأة من بني عبد الأشهل حتى أسلموا[١].

قال ابن إسحاق: لما فشا الإسلام في المدينة وكثر المسلمون، عاد مصعب بن عمير إلى مكة وأخبر رسول الله ﷺ، فَسُرَّ بذلك، وكان رجوع مصعب إلى مكة قبل العقبة الثانية[٢].

(١) انظر «السيرة» لابن هشام ٢/ ٥٨-٦٠ ، و«دلائل النبوة» ٢/ ٤٣١-٤٣٢ .

(٢) انظر «السيرة» لابن هشام ٢/ ٦١ .